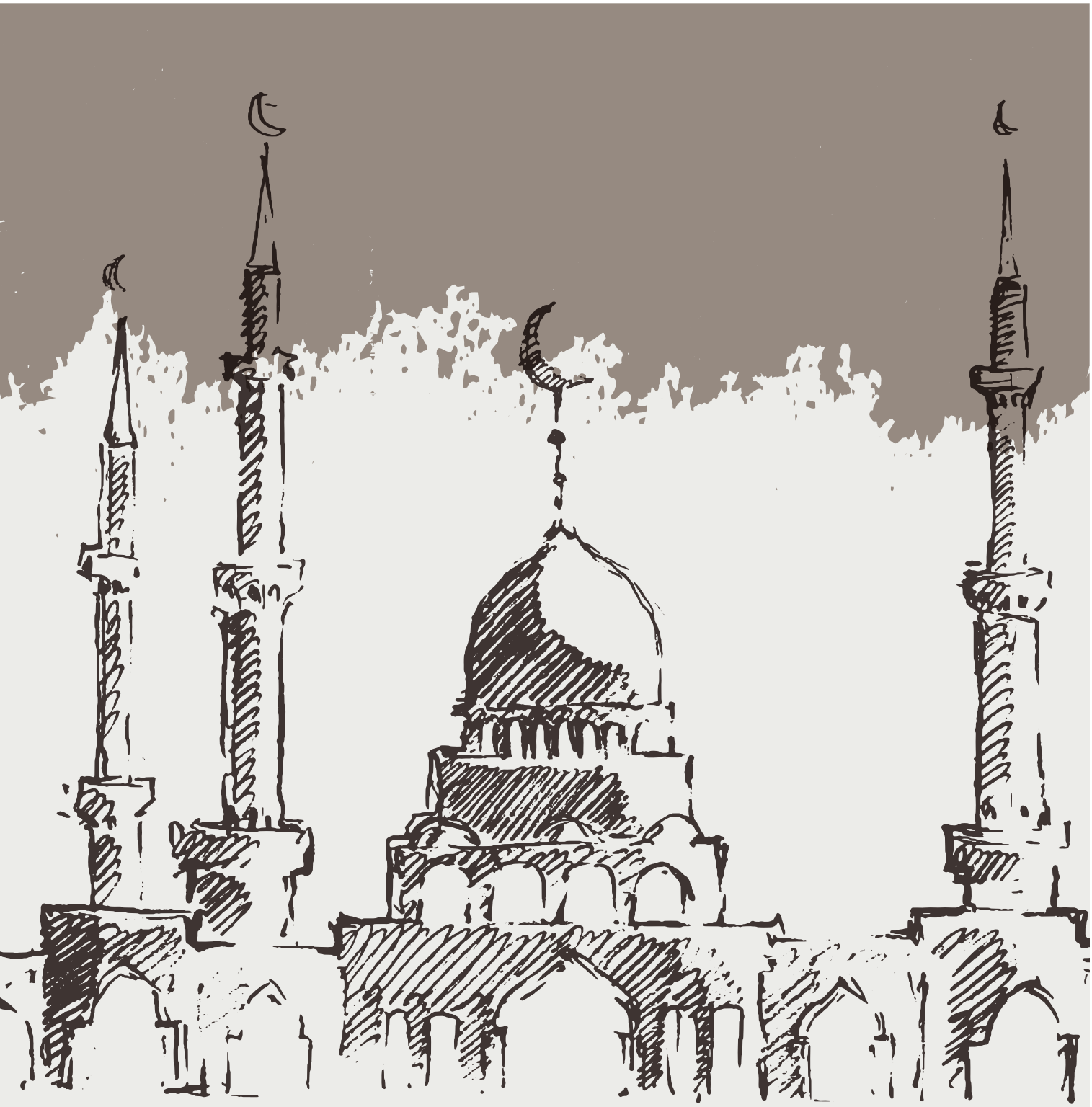

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

١ «ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا:

٢ طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا،

٣ وَالدَّجَّالُ،

٤ وَدَابَّةُ الْأَرْضِ»(١٤٨).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

٥ «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا:

٦ الدَّجَّالَ،

٧ وَالدُّخَانَ،

٨ وَدَابَّةَ الْأَرْضِ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا،

٩ وَأَمْرَ الْعَامَّةِ،

١٠ وَخُوَيْصَةَ أَحَدِكُمْ»(١٤٩).

(١٤٨) رواه مسلم (١٥٨).

(١٤٩) رواه مسلم (٢٩٤٧).

آيات

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

﴿يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗا﴾ [الأنعام: ١٥٨].

﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢].

﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ۝١٠ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝١١ رَبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ﴾ [الدخان: ١٠ - ١٢]

الراوي

هو: أبو هريرة، واسمه على الأرجح: عبدُ الرحمنِ بنُ صَخرٍ الدَّوسيُّ، الأزْديُّ، اليَماني، أسلَمَ عامَ خَيبَرَ، ولازمَ النبيَّ ﷺ وحرص على العلم وحفظ الحديث، فدعا له النبي ﷺ بأن لا ينسى؛ فكان أكثر الصحابة رواية للأحاديث؛ توفي بالمدينة سنة (٥٨هـ)(١).

خلاصة

يذكر النبيُّ ﷺ بعض علامات الساعة التي تأتي بغتة، ويأمر النبيُّ ﷺ بالمسارعة في الأعمال الصالحة قبل أن تظهر تلك العلامات.

(١) تُراجع ترجمته في: «معرفة الصحابة» لأبي نُعيم (٤/ ١٨٤٦)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (٤/ ١٧٧٠)، «أُسد الغابة» لابن الأثير (٣/ ٣٥٧)، «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر العسقلانيِّ (٤/ ٢٦٧).

١ أخبر النبيُّ ﷺ أنَّ ثلاث علامات من علامات الساعة إذا ظهرت تدل على قرب وقوع يوم القيامة، وإغلاق بابُ التوبة، فلا ينفع نفسًا إيمانُها وتوبتُها؛ كإيمانِ مَن نزل به الموت وعاين أمره.

٢ أول تلك العلامات التي ذكرها النبي ﷺ: طلوع الشمس من مغربها، وهي أدلُّ العلامات على قيام الساعة، فإذا رأى الناسُ ذلك آمنوا أجمعين، وحينئذ لن يقبل الله إيمانهم.

٣ وثاني تلك العلامات: خروج المسيح الدجَّال، وهو أعظم فتنةٍ على وجه الأرض، يخرج في آخر الزمان فيدَّعي أنه الله -تعالى الله عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا-، وقد أيَّده الله بخوارق العادة زيادةً في ابتلاء الناس، فيشير للسماء فتمطر، وللأرض فتنبت، وللأرض الخربة فتتبعه كنوزها، ويشقُّ الرجل نصفين ثم يقف بين شِقَّيه ويناديه فيقوم حيًّا صحيحًا، إلى غير ذلك من أخباره المعروفة، ويظل كذلك حتى ينزل المسيح عيسى ابن مريم ﷺ فيقود جيش المسلمين ويقتله.

٤ وثالث علامةٍ ذكرها النبيُّ ﷺ هي الدابَّة التي تخرج في آخر الزمان تُكَلِّمُ الناسَ. قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢].

وخروج الدابَّة يكون بعد طلوع الشمس من مغربها مباشرة؛ لقول النبي ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا، طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى، وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا، فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا»(١٥٠).

٥ ثم في الحديث الثاني أمر ﷺ بأن **نُسارع** بالأعمال الصالحة **قبل** ظهور أمور ستٍّ تشغل الإنسان وتحول بينه وبين القيام بالأعمال الصالحة، وقبل ظهور الشمس من مغربها التي لا يُقبل بعدها عملٌ ولا توبة.

٦ فأَوَّلُ تلك الأشياء خروجُ الدَّجَّال؛ حيث تنفرط بخروجه خرزات الساعة، فتأتي العلامات متواليةً علامةً بعد علامة حتى تقوم الساعة، قال ﷺ: «الْأَمَارَاتُ خَرَزَاتٌ مَنْظُومَاتٌ بِسِلْكٍ، فَإِذَا انْقَطَعَ السِّلْكُ تَبِعَ بَعْضُهُ بَعْضًا»(١٥١).

---

(١٥٠) رواه مسلم (٢٩٤١).

(١٥١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٨٦٣٩).

٧ وثانيها: ظُهور الدُّخان، وهو من علامات الساعة، يَمكُث في الأرض أربعين يومًا يملأ ما بين السماء والأرض، فأما المؤمنُ فيُصيبه مثل الزكام، وأما الكافرُ والفاجر، فيَدخُل في أنوفهم، فيَثقُب مَسامِعَهم، ويُضيِّق أنفاسهم، وهو من آثار جهنَّم يوم القيامة[١٥٢]. قال تعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ۝١٠ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝١١ رَبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ﴾ [الدخان: ١٠ - ١٢].

٨ وذكر أيضًا من السِّتِّ: خروج الدابَّة وطلوع الشمس من مغربها، وقد سبق بيانهما.

٩ ثُمَّ ذكر القيامةَ، سمَّاها أَمْرَ العامَّةِ لأنها تعمُّ الناسَ جميعًا بالموت ولا تستثني أحدًا[١٥٣]، فإنَّ الإنسانَ إذا قامت القيامة تحسَّر على ما فرط وقصر؛ وحينئذ يتمنى المؤمن أن لو ازداد من الطاعة؛ ويتمنى الكافر أن يعود به الزمان فيتوب.

١٠ ثم ذكر المَوْت؛ وسمَّاه خُوَيْصَة أحدكم **لأنه يخصُّ الإنسانَ دون غيره**، بخلاف القيامة حيث سمَّاها أمرَ العامة.

وقد أمر الله تعالى عباده بالتوبة والعمل الصالح قبل الموت فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [المنافقون: ٩ - ١١].

---

(١٥٢) ينظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبيِّ (١٦/ ١٣٠).

(١٥٣) «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٣/ ٣٠٢).

١ بدأ النبيُّ ﷺ حديثَه الأول بأسلوب تقديم الخبر «ثلاث» على المبتدأ «طلوع الشمس والدجال ودابة الأرض» للتشويق إلى المبتدأ ومعرفته؛ فالإنسان إذا علم أن ثلاثة أمورٍ إذا ظهرت لا ينفع بعدها إيمانٌ أنصت وأقبل على المتكلم ليفهم ما يقول ويعيه. فينبغي على كل مُعَلِّمٍ وداعيةٍ ومُرَبٍّ أن يعتمد على مثل هذه الأساليب التشويقية.

٢ في الحديث بيانُ مدى شفقة النبيِّ ﷺ ورحمته ورأفته بأمته، حيث يدلُّهم على الأوقات التي لا ينفع بعدها إيمانٌ، ليُسارعوا في الأعمال الصالحة قبلها، فينبغي أن يكون العبدُ أكثرَ حرصًا على اتباعِ ذلك الأمر النبويِّ، والمبادرة بالأعمال الصالحة قبل ظهور تلك العلامات.

٣ تلقَّى الصحابةُ تلك الأحاديث التي فيها من الغيبيات ما يعجز عنه العقل البشريُّ وقَبِلوها ورَوَوها، فيجب علينا أن نتأسى بهم في الإيمان بما صحَّ عن النبيِّ ﷺ من أخبار الغيب، ولا نُعارض ذلك بعقولنا وعاداتنا.

٤ على المؤمن أن يُبادر بالتوبة والاستغفار والمسارعة في الصالحات قبل حلول الأجل؛ فاللهُ واسعُ المغفرة، يبسُط يده باللَّيل ليتوبَ مُسيءُ النهار، ويَبسُط يده بالنهار ليتوب مُسيءُ الليل، ويغفرُ جميع الذُّنوب ولا يُبالي.

٥ من أبلغ القصص في المبادرة إلى التوبة: توبة قاتل المائة نفس؛ قال ﷺ: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللهِ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ»(١٥٤). فلو كان ذلك الرجلُ أخَّر توبتَه، كيف كان مآل حاله؟!

٦ حذَّر النبيُّ ﷺ أُمَّته مرارًا من الدجَّال، وذلك لعظم خطره وفتنته.

(١٥٤) رواه البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦).

٧ الواجب على الدُّعاة والعلماء أن يهتموا بنوازل المسلمين، ويُبيِّنوا لهم الفتن الواقعة عليهم، ويذكروا لهم حكم الله في المُسْتَجَدَّات، ولا تكن خُطَبُهم وأخبارُهم وكتاباتُهم بمعزلٍ عمَّا يعيشه الناس.

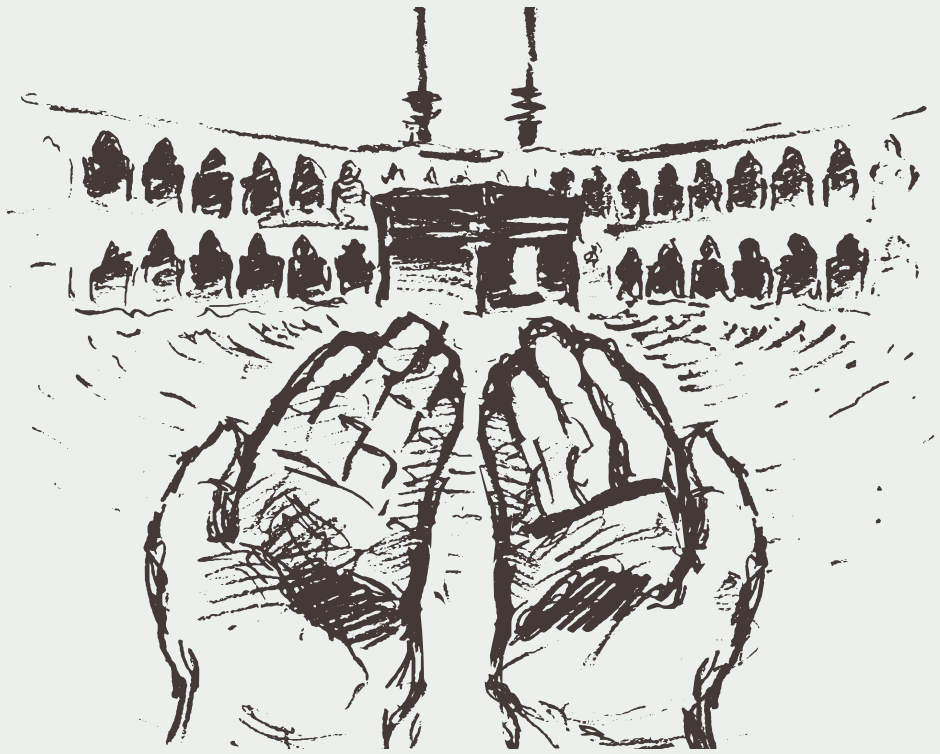

قال الشاعر:

يـا نفـسُ قَـدْ أَزِفَ الرحيـلُ ... وَأَظَلَّـكِ الخَطْـبُ الجليـلُ
فتأهَّبـــي يـا نَفْـــسُ لا ... يَلْعَـبْ بِـكِ الأمـلُ الطويـلُ
فلَتَنْزِلِـــنَّ بمنـــزلٍ ... ينسـى الخليـلَ بـه الخليـلُ
ولَيَرْكَبـــنَّ عَلَيْـكِ فِيـ ... ـهِ مِـنَ الثَّـرَى حِمْـلٌ ثَقِيـلُ
قُـرِنَ الفَنَـاءُ بنـا فـما ... يبقـى العزيـزُ ولا الذليـلُ